من متشابه النظم الكريم (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) دراسة بلاغية في أوجه التناسب

الدكتورة

فاطمة عبدالمجيد عبد المجيد هنداوي جعفر

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

من متشابه النظم الكريم (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) دراسة بلاغية في أوجه التناسب

فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر

قسم البلاغة والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ـ مصر .

البريد الإلكتروني: FatmaHindawy1507.el@azhar.edu.eg

الملخص

عالج البحث جانبا من جوانب البحث البلاغي القرآني، في إطار التناسب الذي يعد مناط إعجاز مثله مثل تحليل تراكيب القرأن الكريم، واستنباط أسرار إعجازه النظمي والتركيبي.

قام البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ثم ثبت للمصادر والمراجع.

تضمنت المقدمة أهداف الموضوع ومنهجه وخطته. واشتمل التمهيد على تحرير معنى (فقه المعنى القرآني) وعمود علم التناسب، وحديث عن السور الوارد بها الآيات محل البحث.

المبحث الأول وفيه بيان لنظم الآيات محل البحث بلاغيا، وبيان علاقتها بما قبلها وما بعدها، ووجه التناسب بينها.

المبحث الثاني وفيه بيان أوجه التناسب بين السور ومطالعها ومقاصدها وختامها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من آيات.و الخاتمة وفيها أهم ما توصل إليه البحث ثم ثبت المراجع.

الكلمات المفتاحية : متشابه النظم ، القرآن الكريم ، أوجه التناسب ، دراسة بلاغية .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

A similar system is decent (and they say when will this promise if you are honest) rhetorical study of the aspects of proportionality

Fatima Abdul Majeed Abdul Majeed Hindawi Jaafar
Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Cairo - Egypt.
Email: FatmaHindawy1507.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The research dealt with one of the aspects of Quranic rhetorical research in the context of appropriateness, which is considered a miracle the same as analyzing the structures of the Holy Qur'an, and devising the secrets of its systematic and structural miracles.

The study is divided into an introduction, a preface, two chapters and a conclusion. The introduction included the importance of the research, the methodology and the plan .

The preface included editing the meaning of (the doctrine of the Qur'anic meaning) and the science of proportionality, and a discussion of the surahs in which the verses in question are discussed.

The first chapter contained a statement of the rhetoric of the verses in question and their relationship with what preceded and followed them, and the appropriateness between them.

The second chapter included an indication of the aspects of proportionality (appropriateness) between the Sura, its perceptions, its intentions and its conclusion, and its relationship to what was before and after the verses.

The conclusion contained the results of the research then the references.

Keywords: Similar systems, the Noble Qur'an, aspects of proportionality, rhetorical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، منزل القرآن الكريم، الذي تحدى به العرب أجمعين، فكان حجة إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام على النبي الأمين، أفصح العرب وأبلغهم أجمعين، ظهرت فصاحته، وتجلت بلاغته، فكان بيانه التالي في الإعجاز بعد القرآن الكريم، صلاة وسلاما عليه دائمين، ومن اهتدى بهديه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد

فهذا بحث بلاغي بعنوان: من متشابه النظم الكريم "ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" دراسة بلاغية في أوجه التناسب.

اتبعت فيه المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، فاستقرأت الآيات في القرآن الكريم، فلم يوجد لهن ذكر إلا في المواضع الست المشار إليها، زاد عليها موضع أخير في سورة السجدة، حيث جاءت كلمة الفتح بدل الوعد.

وعرضت لأقوال المفسرين لاستنباط أوجه المناسبة بين الآيات، ومعاقدها، وسورها، وسور القرآن الكريم. ومعلوم أن التناسب من البلاغة بمكان، فهو علم اقتضاء، فهو ميدان البلاغة الفسيح، لأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

وقد جاء البحث ليجيب عن هذه التساؤلات:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- ما وجه المناسبة بين كل آية والمعقد (الموضوع) والسورة التي جاءت في سياقها؟
- ما وجه التناسب بين كل آية وأختها في السورة الأخرى؟
- ما وجه التناسب بين كل معقد من السورة التي وردت فيها الآيات والمعاقد الأخرى؟
- ما وجه التناسب بين كل سورة وردت بها الآية محل البحث، والسور الأخرى الوارد بها الآيات المتشابهات؟

ورغم وعورة هذا المسلك، وصعوبة البحث فيه، إلا أنه بتوفيق من الله أولا وآخرا، ثم بفضل شيخي وأستاذي في هذا الباب أ.د/محمود توفيق سعد، والذي حاضر في دورة التناسب القرآني في الكلية، وكنت ممن لهم وافر الحظ بحضور هذه الدورة فأفدت منها كثير، واطلعت منها على باب لم أكن قد ولجت من قبل.

أدعو الله سبحانه أن يجنبني الخطأ، وإن كان سهو أو تقصير، فليغفر لي ويجبر نقصي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة وفيها أهداف الموضوع، ومنهجه، وخطته.

التمهيد وفيه مدخل للبحث لخص فيها كيفية الوصول لفقه المعنى القرآني، وأداة البحث للكشف عن أوجه التناسب، ملخصة في رسم بياني.

المبحث الأول: وفيه بيان نظم الآيات الست بلاغيا (السياق المقالي) وعلاقتها بمعاقدها وأوجه التناسب بينها.

المبحث الثاني: وفيه بيان لأوجه التناسب بين الآيات ومطالع السور الواردة بها ومقاصدها وختامها، ووجه التناسب بين السور الست وسورة السجدة، وبينهن وما قبلهن ومابعدهن وبين فاتحة الكتاب.

الخاتمة وفيها إجابات التساؤلات التي هدف البحث أن يجيب عليها.

ثبت المصادر والمراجع.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تمهيد

عمود علم التناسب يقوم على بابين:

النظم التركيبي: (وهو ما يتعلق بتركيب ونظم الجملة القرآنية)

والنظم الترتيبي: وهو ما يتجاوز الآية ليشمل القرآن كله.

ومراحل الطريق إلى فقه المعنى القرآني يمكن أن تلخص كالآتي:

- المرحلة الأولى: فقه موقع السورة بين سور القرآن الكريم.
- المرحلة الثانية: فقه وحدة سياق السورة ومقصودها الأعظم.
- المرحلة الثالثة: تقسيم السورة إلى معاقد (موضوعات).
- المرحلة الرابعة: التحليل البياني للكلمات والجمل والآيات (النظم التركيبي)

والمعنى القرآني ضربان:

الأول: المعنى القصدي: وهذا هو عين مراد الله تعالى، وهو معنى توفيقي، ليس لنا معه إلا الاجتهاد في فهمه، حين يبلغنا بسند صحيح عن سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الثاني: المعنى الإدراكي: وهو ما يدركه أهل العلم والتدبر من النص القرآني، وفقا لأصول الإدراك والتدبر، وضوابطهما، وهذا الضرب (المعنى الإدراكي) هو ما يمكن أن يعرف بأنه: "كل ما يدركه ويستنبطه أهل العلم من النص في سياق السورة المقالي والمقامي وفقا لأصول وضوابط الفهم والاستنباط" ذلك هو المبتغى من التدبر(١).

---

(١) العزف على أنوار الذكر(معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة)- د/محمود توفيق محمد سعد -١٤٢٤هـ. ص١٣، ١٩.

والمتدبر للقرآن الكريم يبدأ بتدبر الآية في سياقها المقالي (الكلام المنظوم نفسه)، والمقامي وهو مقام التنزيل، وسياق التنزيل هذا متجدد إلى يوم القيامة، لأنه متوقف على فهم الآية وما ينتج عن فهم الآية عند العلماء في كل عصر.

والآيات محل البحث اتحد نظمها وسياقها المقالي، فكلها تتركب من نفس الجملة (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، جاءت جميعها في سور مكية، بدأت حسب الترتيب التوقيفي للمصحف بإجماع العلماء بسورة يونس، ثم الأنبياء، ثم النمل، ثم سبأ، ثم يس، ثم تبارك.

ومن حيث ترتيب النزول فإن أولهم في النزول سورة يس، فترتيبها النزولي الواحدة والأربعون، ثم سورة النمل، وهي الثامنة والأربعون، ثم يونس وهي الواحدة والخمسون، ثم سورة سبأ وهي الثامنة والخمسون، ثم الأنبياء وهي الثالثة والسبعون، ثم الملك وهي السابعة والسبعون، وجاءت أية " وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" في سورة السجدة وهي مكية أيضا وترتيب نزولها الخامسة والسبعون.

والمتأمل للسور السبع يجد أنها ترتبط كلها بموضوع السور المكية، من إثبات العقيدة والرسالة وبيان حاجة الناس إليها، والتنويه بشأن القرآن، والتحدي به، وإثبات يوم الحساب وما فيه من أهوال.

فجميعها ترتبط ارتباطا وثيقا من حيث عمود المعنى الرئيس الذي تدور عليه كل سورة. وكلها ترجع إلى قوله تعالى في أم الكتاب (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.... اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد وصف القرآن الكريم بأنه متشابه، قال تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} [الزمر: ٢٣] ، وجعل هذا صفة مدح له، وذلك لأن القرآن يشتمل على أنواع من الأوامر والنواهي والوعد والوعيج والقصص والمواعظ، وما إلى هذا من الأنواع التي يشتمل عليها، وتتكرر في كل سورة من سوره، وكلها أنواع متشابهة المقاصد، متفاوتة الأغراض، لا تخرج عن الوظيفة الدينية للقرآن ولا تحيد عن الغاية التي نزل من أجلها..... وقد حددت الوظيفة الدينية للقرآن في فاتحته، وهي أول سورة منه، فقال تعالى فيها: "{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) } [الفاتحة: ١ – ٧]

وهو في هذا يبين أنه يراد من القرآن الكريم الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، والكتاب يقرأ من فاتحته، فهي التي تحدد المقصود منه، وتبين الغرض الذي يريد تحقيقه، وقد توالت سور القرآن بعد هذه الفاتحة، فسارت في هذا الغرض الذي حُدّد فيها، ولم تَحِدْ سورة عنه، وبهذا تشابهت سوره في أغراضها ومقاصدها، كما تشابهت أوامره ونواهيه، وما إليها مما اشتمل عليه(١).

ولكي يتضح سبيل البحث مرفق بعد التمهيد رسم بياني يوضح كيفية تتبع أوجه التناسب بين الآية والقرآن الكريم كله. إذ إن المعنى القرآني يستطيع المتدبر أن يفهمه من خلال أربع دوائر:

(١) النظم الفني في القرآن للشيخ عبد المتعال الصعيدي– مكتبة الآداب– القاهرة.ص ٣٦، ٣٧.

الدائرة الأولى: دائرة الآية وما يحمله نظمها التركيبي من بيان.

الدائرة الثانية: دائرة المعقد الذي جاءت في الآية (الموضوع من السورة)

الدائرة الثالثة: دائرة السورة بموضوعاتها وعمود معناها المحوري.

الدائرة الرابعة: السياق القرآني كله ومرجعه لأم الكتاب.

كل هذا لكي يتضح لكل قارئ متدبر مدى ارتباط آي القرآن الكريم، وسوره بعضها ببعض في عرى واحدة، لا تنفك واحدة منها عن الأخرى، وأن هذه الصلات وضح معناها أو خفي وغمض فهو موجود، وعلى المتدبر المتأني أن يصل لتلك الخوافي، وأن يتأمل تلك الغوامض فيفتح الله له ما يشاء من فضله في هذا.

والبحث وإن كان وعر المسلك، صعب المسير، إلا أنني استعنت بالله وتوفيقه، ويكفيني أن أنال أجرا، وأفتح بابا لغيري ليتأمل، علـه يصيب الهدف الذي أخطأت، ويصل إلى النتيجة التي عنها حدت. اللهم جنبنا الزلل، واعصمنا من الخطأ في كتابك يا رب العالمين

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رسم بياني لدوائر السياق القرآني التي يفهم من خلالها أوجه التناسب القرآني

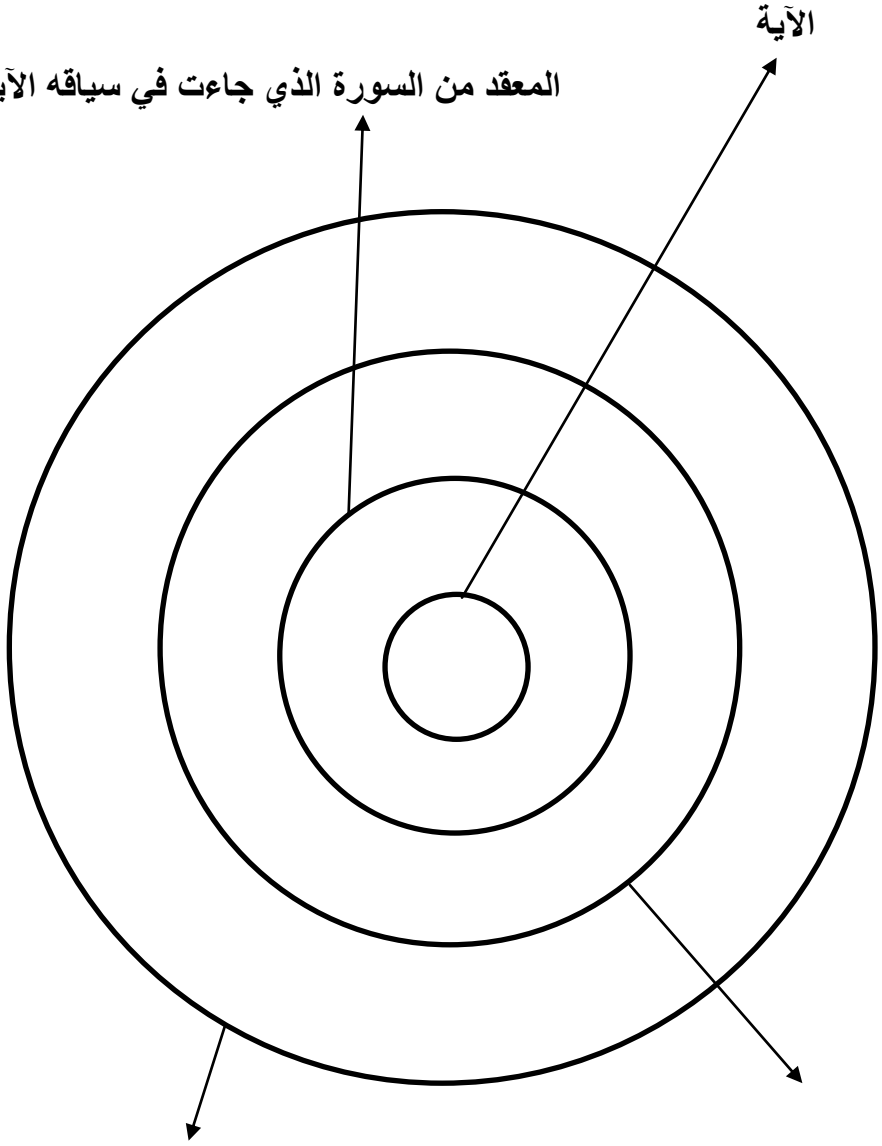

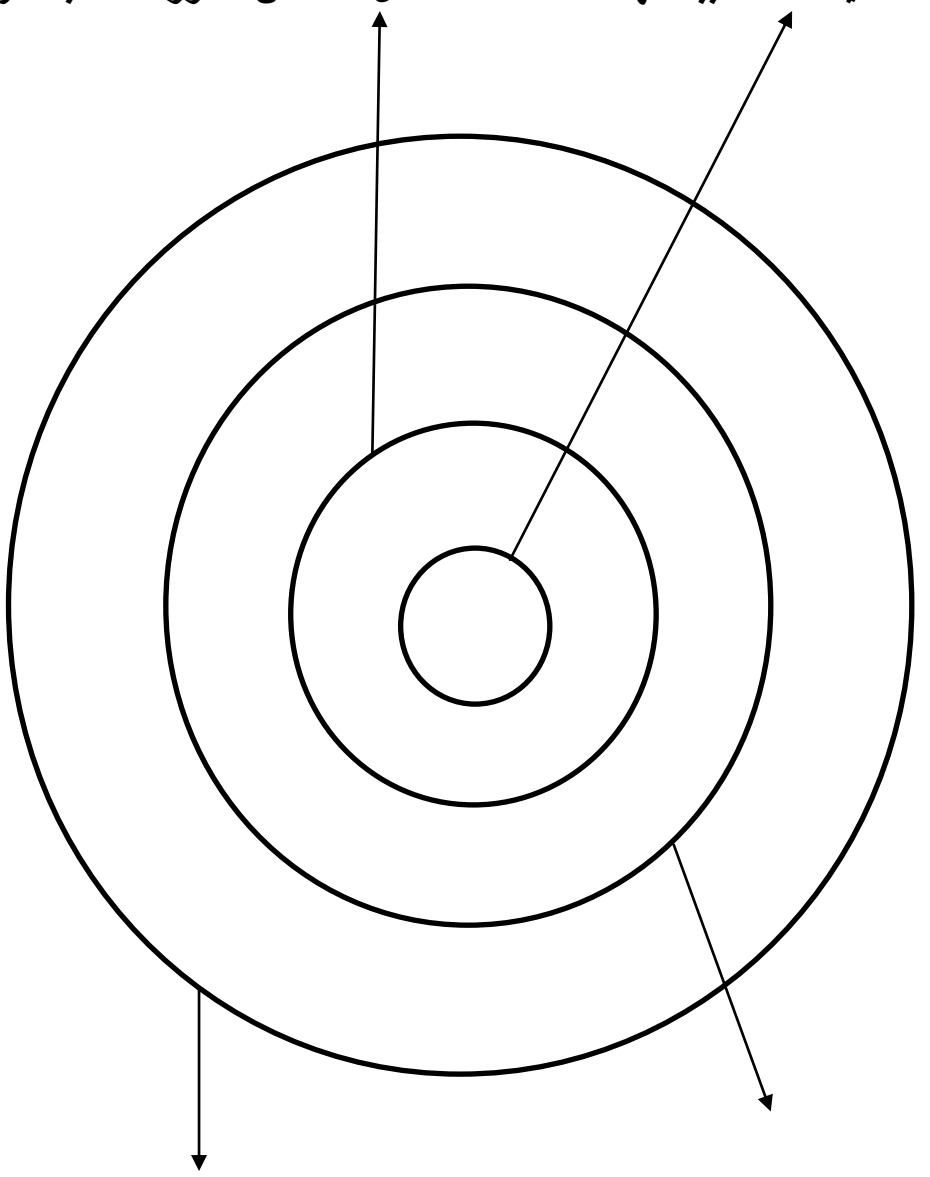
علاقة الآيات الستة ببعضها
علاقة كل معقد من السور الستة بالآخر
علاقة السور الستة ببعضهن
موقع السور الستة من القرآن الكريم
ترتيبا وتنزيلا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

بيان نظم الآيات الست بلاغيا (السياق المقالي)
وعلاقتها بمعاقدها وأوجه التناسب بينها

قال تعالى:

١- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [يونس: ٤٨]

٢- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [الأنبياء: ٣٨]

٣- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [النمل: ٧١]

٤- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [سبأ: ٢٩]

٥- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [يس: ٤٨]

٦- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [الملك: ٢٥]

الآيات الست جاءت كما هو مذكور بنفس الألفاظ، إلا أن سياقات الآيات جاءت في سور مختلفة، اتفقت جميعها بأنها سور مكية، تعني بما تعني به السور المكية من موضوعات.

وقبل الدخول في بيان الآيات وبيان وجه ارتباطها ومناسبتها لمعقد السورة الواردة بها، يجدر أولا أن نوضح أن هذه الآيات ليس من التكرار، إذ اعتمد البحث على أن التكرار في القرآن هو: "إعادة العبارة بنصها في سياق واحد، لغرض يستدعي إعادتها، وفي مقام يقتضي هذه الإعادة... أما ما يذكر في كتب البلاغة مما تختلف فيه السياقات ولو أدنى اختلاف فإن ما يلائمها هو مصطلح "المتشابهات"، وهو شائع في استعمال الدارسين في هذا

النوع من النظائر والأشباه، التي ترد متفرقة في سياقات مختلفة، ومقامات متباينة، تفسر ما بينها من تشابه، وما بينها من فروق كذلك"(١).

فالآيات من متشابه النظم، لاختلاف سياقاتها، وإن تقاربت موضوعاتها وتناسبت كما سيوضح البحث.

والآيات الست انتظم تركيبها على الاستفهام المفيد استعجال نزول العذاب، سخرية واستهزاء، وعدم تصديق من الكافرين بالبعث.

ومعلوم أن الأساليب الإنشائية تعبر عن دفقات شعورية، وانفعالية، يريد الذكر الحكيم نقلها للمتلقي، في سياقات مختلفة.

كما أن الاستفهام يثير في النفس التساؤل، ويدفعها لمعرفة ما غمض عليها، وإيراد الأسلوب على الاستفهام إيقاظ لخاطر المتلقي وتنبيه لذهنه، حتى يعي وضع هؤلاء ويترقب سوء مآلهم، وبؤس عاقبتهم.

وصدرت الآيات الست بـ(ويقولون) المضارع الدال على التجدد والحدوث، وهي لفتة من الذكر الحكيم تفيد تجدد هذا الفعل في كل زمان ومكان، لا يخلو ممن يكذب البعث أو ينكر ما أخبر به القرآن الكريم. فقد قالوا ويقولون وسيقولون، وما على الرسول إلا البلاغ، والهداية توفيق من الله لمن شاء.

ويلاحظ التعبير باسم الإشارة، وما يحمله اسم الإشارة من مدلولات حسية، فاسم الإشارة يستخدم للإشارة إلى محسوس، والوعد المشار إليه، نصر الله المؤمنين وخزي وعذاب الكافرين على اختلاف التأويل في سياقات

---

(١) ينظر التكرار بلاغة. د/ إبراهيم محمد الخولي- الشركة العربية للطباعة والنشر.ص٢١، ٢٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الآيات. وذلك إمعانا في المبالغة في الاستهزاء، وإنكارا لأن يكون مثل هـذا الوعد محققا، ولذا فإن التعقيب بعد كل آية، كما سيوضح البحث، بآيات تبين سوء المآل والعاقبة لقائلي هذا القول ومعتنقيه.

وختام الآية بالشرط المحذوف جوابه كناية عـن تهكمهـم الشـديد بالرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه، وإمعانا في هذا التهكم جاء الضمير للجمع في قوله "إن كنتم صادقين"

هذا تحليل ميسر لنظم الآية التركيبي يوضح ما اشتملت عليه الآيـة من بعض ألوان البلاغة التي تنادي على نفسها فـي السـياق، والله أعلـم بمكنون كتابه ومراده.

أما من حيث تناسب الأيات وعلاقتها بما قبلها وما بعدها: فالآيات الكريمات جاءت كل واحدة في معقد من سورة مكية، وحسب ورودها في المصحف، فقد كانت أولهم ورودا سورة يونس، وهي سورة مكية مقصودها وصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة وأنه ليس إلا من عنده سبحانه، لأن غيره لا يقدر على شيء منه. وذلك دالّ بلا ريب على أنه واحد في ملكه، لا شريك له في شيء من أمره. وتمام الدليل على هذا: قصة قوم يونس عليه السلام، بأنهم لما آمنوا عند المخايل كشف عنهم العذاب، فدل – قطعاً – على أن الآتي به إنما هو الله الذي آمنوا به، إذ لو كان غيره، لكان إيمانهم به سبحانه موجباً للإيقاع بهم، ولو عذبوا كغيرهم لقيل: هذه عادة الدهر، كما قالوا: {قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ} [الأعراف: ٩٥]

ودلّ ذلك على أن عذاب غيرهم من الأمم، إنما هو من عند الله لكفرهم، لما اتسق من ذلك اطرداً بأحوال سائر الأمم، من أنه كلما وجد الإصرار على التكذيب، وجد العذاب(١).

وتأتي الآية محل البحث بعد مطلع السورة في المعقد الثاني منها، حيث تحداهم بالقرآن بعد أن أبطل شبههم عليه في مطلع السورة، ثم أتبع ذلك بوعيدهم فذكر أنه يوم الحشر يكون حالهم كحال من لم يلبث إلا ساعة من النهار في الدنيا، ثم ذكر أنهم سألوا مستهزئين: متى هذا الوعد بالعذاب؟ وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأن أمر ذلك مفوض إليه وحده لأنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، وبأن يسألهم عن فائدة استعجالهم هذا العذاب، لأنهم إذا آمنوا عند وقوعه لا ينفعهم، ثم يقال لهم {ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } [يونس: ٥٢] (٢).

والآية محل البحث "عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ [يُونُس: ٤٦] ، وَالْمُنَاسَبَةُ أَنَّهُ لَمَّا بَيَّنَتِ الْآيَةُ السَّالِفَةُ أَنَّ تَعْجِيلَ الْوَعِيدِ فِي الدُّنْيَا لَهُمْ وَتَأْخِيرَهُ سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، إِذِ الْوَعِيدُ الْأَتَمُّ هُوَ وَعِيدُ الْآخِرَةِ، أُتْبِعَتْ بِهَذِهِ الْآيَةِ حِكَايَةً لِتَهَكُّمِهِمْ عَلَى تَأْخِيرِ الْوَعِيدِ"(٣).

وذلك لأنه " لما تقدم في هذه الآيات تهديدهم بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة، حكى سبحانه جوابهم عن ذلك عطفاً على قوله: {ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه} فقال: {ويقولون} أي هؤلاء المشركون مجددين لهذا

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للإمام البقاعي- مكتبة المعارف – الرياض ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ٢/ ١٦٤

(٢) ينظر النظم الفني في القرآن للشيخ عبد المتعال الصعيدي ص١٤٠ ، ١٤١ .

(٣) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور- دار سحنون- تونس. ج١١، ١٨٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

القول مستمرين على ذلك استهزاء: {متى هذا الوعد} أي بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة، وألهبوا وهيجوا بقولهم: {إن كنتم} أي أنت ومن قال بقولك {صادقين*} والقول كلام مضمن في ذكره بالحكاية وقد يكون كلام لا يعبر عنه فلا يكون له ذكر مضمن بالحكاية، فلا يكون قولاً لأنه إنما يكون قولاً من أجل تضمن ذكره بالحكاية – ولتضمين جعل الشيء في وعاء؛ والوعد: خبر بما يعطي من الخير، والوعيد: خبر بما يعطى من الشر، وقد يراد الإجمال كما هنا فيطلق الوعد على المعنيين: وعد المحسن بالثواب والمسيء بالعقاب؛ والصدق: الخبر عن الشيء على ما هو به؛ والكذب: الخبر عنه على خلاف ما هو به"(١).

أما الآية الثانية فوردت في سياق سورة الأنبياء، وهي أيضا سورة مكية، تعالج ما تعالجه السور المكية من قضايا الألوهية والربوبية والبعث والجزاء، وإثبات نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وتأتي الآية الثانية محل البحث كذلك في المعقد الثاني من سورة الأنبياء، حيث بدأت بمطلع قوي الضربات يهز القلوب هزا ، وهو يلفتها إلى الخطر القريب المحدق ، وهي عنه غافلة لاهية : «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ... إلخ».

ثم يهزها هزة أخرى بمشهد من مصارع الغابرين ، الذين كانوا عن آيات ربهم غافلين ، فعاشوا سادرين في الغي ظالمين : {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي- دار الكتب العلمية- المجلد الثالث- ص ٤٥٠.

مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)} [الأنبياء: ١١ – ١٥]

فأما المقطع الثاني فيرجع بالحديث إلى الكفار الذين يواجهون الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – بالسخرية والاستهزاء ، بينما الأمر جد وحق ، وكل ما حولهم يوحي باليقظة والاهتمام. وهم يستعجلون العذاب والعذاب منهم قريب .. وهنا يعرض مشهدا من مشاهد القيامة. ويلفتهم إلى ما أصاب المستهزئين بالرسل قبلهم. ويقرر أن ليس لهم من اللّه من عاصم. ويوجه قلوبهم إلى تأمل يد القدرة وهي تنقص الأرض من أطرافها ، وتزوي رقعتها وتطويها ، فلعل هذا أن يوقظهم من غفلتهم التي جاءتهم من طول النعمة وامتداد الرخاء..... فيتحدث عن طبيعة الإنسان العجول ، واستعجالهم بالعذاب . فيحذرهم ما يستعجلون به . وينذرهم عاقبة الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم ويعرض لهم مشهداً من تقلص ظلال الغالبين المسيطرين في الدنيا . ومشهداً من عذاب المكذبين في الآخرة. ويختم بدقة الحساب والجزاء في يوم القيامة . فيربط الحساب والجزاء بنواميس الكون وفطرة الإنسان وسنة الله في حياة البشر وفي الدعوات . وهؤلاء المشركون كانوا يستعجلون بالعذاب ، ويسألون متى هذا الوعد . الوعد بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا . . فها هو ذا القرآن يرسم لهم مشهداً من عذاب الآخرة ، ويحذرهم ما أصاب المستهزئين قبلهم من عذاب الدنيا[١].

(١) فى ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق. ج٤/ ٢٣٦٦: ٢٣٧٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقول الرازي: أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ" فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الِاسْتِعْجَالُ الْمَذْمُومُ الْمَذْكُورُ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ [الْعَنْكَبُوتِ: ٥٣] فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ فِي رَفْعِ هَذَا الْحُزْنِ عَنْ قَلْبِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: بِأَنْ بَيَّنَ مَا لِصَاحِبِ هَذَا الِاسْتِهْزَاءِ مِنَ الْعِقَابِ الشَّدِيدِ فَقَالَ: لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ قَالَ صَاحِبُ «الكشاف» : جَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ وَحِينَ مَفْعُولٌ بِهِ لِيَعْلَمُ أَيْ لَوْ يَعْلَمُونَ الْوَقْتَ الَّذِي يَسْأَلُونَ عَنْهُ بِقَوْلِهِمْ: مَتى هذَا الْوَعْدُ وَهُوَ وَقْتٌ صَعْبٌ شَدِيدٌ تُحِيطُ بِهِمْ فِيهِ النَّارُ مِنْ قُدَّامٍ وَمِنْ خَلْفٍ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَجِدُونَ أَيْضًا نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: / فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا [غَافِرٍ: ٢٩] لِمَا كَانُوا بِتِلْكَ الصِّفَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالِاسْتِعْجَالِ وَلَكِنَّ جَهْلَهُمْ بِهِ هُوَ الَّذِي هَوَّنَهُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا حَسُنَ حَذْفُ الْجَوَابِ لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ يَدُلُّ عَلَيْهِ. وَهَذَا أَبْلَغُ[١]

والْوَعْدُ: إتيان العذاب، أو القيامة،وهذا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه، وفظاعة ما فيه من العذاب، وأنهم يستعجلونه لجهلهم بشأنه[٢].

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي- دار إحياء التراث العربي- ط٣- بيروت. ج٢٢/ ١٧٣.
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون لأقاويل للزمخشري- دار المعرفة بيروت- ج٢/٥٧٣.
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ت:أحمد عبد الله القرشي رسلان - الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة-١٤١٩ هـ ج٣/ ٤٦٣

ويتضمن المقطع الثالث من سورة الأنبياء، استعراض أمة النبيين ، وفيها تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة. كما تتجلى رحمة اللّه بعباده الصالحين وإيحاؤه لهم وأخذ المكذبين. ثم ختام السورة ويعرض النهاية والمصير، في مشهد من مشاهد القيامة المثيرة، ويتضمن ختام السورة بمثل ما بدأت : إيقاعا قويا ، وإنذارا صريحا ، وتخلية بينهم وبين مصيرهم المحتوم[١] ..

ثم تأتي الآية الثالثة في سورة النمل، وهي أيضا سورة مكية، تعتني بالجانب العقدي، وجاءت للتنويه بشان القرآن الكريم، والترغيب والترهيب بقصص الغابرين، ومقصودها: وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة. فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة، كما كان مقصود التي قبلها: إظهار البطش والنقمة. وأدل ما فيها على هذا المقصود: ما للنمل من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش، ولاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، وبلاغة التأدية[٢].

وقد جاءت الآية محل البحث في المعقد الأخير من السورة بعد التنويه بشأن القرآن وذكر بعض قصص الغابرين، وأفردت حديثا لذكر قصة سليمان عليه السلام والنمل التي سميت السورة باسمها، وعقبت على ذلك بذكر دلائل وحدانية الله من آثاره ومخلوقاته، وذكرت بعاقبة المكذبين {وَقَالَ الَّذِينَ

(١) فى ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق. ج٤/ ٢٣٦٦: ٢٣٧٩
(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٣٣٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا.....} [النمل: ٦٧، ٦٨] ويلمس القلوب بتوجيهها إلى مصارع الذين كذبوا قبلهم بالوعيد ويسميهم المجرمين : {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } [النمل: ٦٩].

وفي هذا التوجيه توسيع لآفاق تفكيرهم ، فالجيل من البشر ليس مقطوعا من شجرة البشرية وهو محكوم بالسنن المتحكمة فيها وما حدث للمجرمين من قبل يحدث للمجرمين من بعد فإن السنن لا تحيد ولا تحابي.

والسير في الأرض يطلع النفوس على مُثُلٍ وسِيَرٍ وأحوال فيها عبرة ، وفيها تفتيح لنوافذ مضيئة. وفيها لمسات للقلوب قد توقظها وتحييها. والقرآن يوجه الناس إلى البحث عن السنن المطردة ، وتدبر خطواتها وحلقاتها ، ليعيشوا حياة متصلة الأوشاج متسعة الآفاق ، غير متحجرة ولا مغلقة ولا ضيقة ولا منقطعة.

وبعد أن يوجههم هذا التوجيه يأمر رسوله – صلّى اللّه عليه وسلّم – أن ينفض يديه من أمرهم ، ويدعهم لمصيرهم ، الذي وجههم إلى نظائره ، وألا يضيق صدره بمكرهم ، فإنهم لن يضروه شيئا ، وألا يحزن عليهم فقد أدى واجبه تجاههم وأبلغهم وبصرهم.

{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ } [النمل: ٧٠] وهذا النص يصور حساسية قلبه – صلّى اللّه عليه وسلّم – وحزنه على مصير قومه الذي يعلمه من مصائر المكذبين قبلهم ، ويدل كذلك على شدة مكرهم به وبالدعوة وبالمسلمين حتى ليضيق صدره الرحب الكبير. ثم

يمضي في سرد مقولاتهم عن قضية البعث ، واستهانتهم بالوعيد بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة :

«وَيَقُولُونَ : مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» ..

كانوا يقولون هذا كلما خوفوا بمصائر المجرمين قبلهم ، ومصارعهم التي يمرون عليها مصبحين كقرى لوط ، وآثار ثمود في الحجر ، وآثار عاد في الأحقاف ، ومساكن سبأ بعد سيل العرم .. كانوا يقولون مستهزئين :

«مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به؟ إن كنتم صادقين فهاتوه ، أو خبرونا بموعده على التحديد(١)!

يقول البقاعي في وجه المناسبة: لما أشار إلى أنهم لم يبقوا في المبالغة في التكذيب بالساعة وجهاً، أشار إلى أنهم بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الله أشد مبالغة، فقال: {ويقولون} بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين للاستمرار: {متى هذا الوعد} وسموه وعداً إظهاراً للمحبة تهكماً به، وهو العذاب والبعث والمجازاة {إن كنتم} أي أنت ومن تابعك، في غاية الرسوخ، كما تزعمون {صادقين*} فأجابهم على هذا الجواب الغص بجواب الواسع القادر الذي لا يعتريه ضيق، ولا تنويه عجلة، مشيراً إلى الاستعداد للدفاع أو الاستسلام لذي الجلال والإكرام، كما فعلت بلقيس رضي الله عنها، فقال مخاطباً الرأس الذي لا يقدر على هذه التؤده حق القدرة غيره: {قل} يا محمد {عسى} أي يمكن {أن يكون} وجدير وخليق بأن يكون {ردف} أي تبع ردفاً حتى صار كالرديف ولحق(٢).

---

(١) فى ظلال القرآن ج٥/ ٢٦٦٣، ٢٦٦٤

(٢) نظم الدرر- المجلد الخامس٤٤٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهنا يجيء الرد يلقي ظلال الهول المتربص ، وظلال التهكم المنذر في كلمات قصار :

{قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ } [النمل: ٧٢] بذلك يثير في قلوبهم الخوف والقلق من شبح العذاب. فقد يكون وراءهم – رديفا لهم كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة – وهم لا يشعرون. وهم في غفلتهم يستعجلون به وهو خلف رديف! فيالها من مفاجأة ترتعش لها الأوصال. وهم يستهزئون ويستهترون!(١)

وتأتي الآية الرابعة محل البحث، في سورة سبأ، وهي أيضا سورة مكية، مقصودها الحديث عن توحيد الله والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث.

ومحل الآية المعقد الثالث وقبل ختام السورة، والذي يرد فيه على الاعتراض الثالث والرابع على يوم القيامة، حيث إن مطلع السورة من الآية الأولى وحتى السادسة ذكر اعتراضهم الأول {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ} [سبأ: ٣]، ثم يأتي الاعتراض الثاني في قوله تعالى في المعقد الثاني من السورة : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) } [سبأ: ٧] ، ثم يأتي المعقد الثالث والذي يتناول اعتراضين على يوم القيامة، الأول في الآية محل البحث(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)، فذكر أنهم سألوا عن ميعاد يوم القيامة استبعادا له.

يقول ابن عاشور: كَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْكَرُوهُ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِيَامَةُ وَالْبَعْثُ وَلِذَلِكَ عَقَّبَ إِبْطَالَ قَوْلِهِمْ فِي إِنْكَارِ

(١) فى ظلال القرآن ج٥/ ٢٦٦٣، ٢٦٦٤

الرِّسَالَةِ بِإِبْطَالِ قَوْلِهِمْ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى خبر لكِنَّ . وَالتَّقْدِيرُ: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ حَقَّ الْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ وَيَتَهَكَّمُونَ فَيَسْأَلُونَ عَنْ وَقْتِ هَذَا الْوَعْدِ الَّذِي هُوَ مَظْهَرُ الْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةً وَالْوَاوُ لِلِاسْتِئْنَافِ. وَضَمِيرُ يَقُولُونَ عَائِدٌ إِلَى الْمُحَاجِّينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ صَدَرَتْ عَنْهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ. وَصِيغَةُ الْمُضَارِعِ فِي يَقُولُونَ تُفِيدُ التَّعْجِيبَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ مَعَ إِفَادَتِهَا تَكَرُّرَ ذَلِكَ الْقَوْلِ مِنْهُمْ وَتَجَدُّدَهُ. وَضَمِيرُ جَمْعِ الْمُخَاطَبِ فِي قَوْلِهِ: إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ إِمَّا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ مَعَهُ جَمَاعَةً يُخْبِرُونَ بِهَذَا الْوَعْدِ، وَإِمَّا الْخِطَابُ مُوَجَّهٌ لِلْمُسْلِمِينَ. وَاسْمُ الْإِشَارَةِ فِي هَذَا الْوَعْدِ لِلِاسْتِخْفَافِ وَالتَّحْقِيرِ وَجَوَابُ: كُنْتُمْ صادِقِينَ دَلَّ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، أَيْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَعَيِّنُوا لَنَا مِيقَاتَ هَذَا الْوَعْدِ. وَهَذَا كَلَامٌ صَادِرٌ عَنْ جَهَالَةٍ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنَ الصِّدْقِ فِي الْإِخْبَارِ بِشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ الْمُخْبِرُ عَالِمًا بِوَقْتِ حُصُولِهِ وَلَوْ فِي الْمُضِيِّ فَكَيْفَ بِهِ فِي الِاسْتِقْبَالِ(١).

ثم ذكر الاعتراض الأخير بذكر ما كان يقوله مترفوا المدينة وأكابرها، حيث كانوا يكفرون بيوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء، ويتفاخرون بكثرة أموالهم وأولادهم.

وتأتي الآية الخامسة في سورة يس، وهي أيضا سورة مكية، عالجت موضوع العقيدة بشكل دقيق، من إثبات الوحدانية، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والنشور، وقد تناولت أمورا أساسية ثلاثة، وهي: الحديث عن كفار مكة المكذبين بالقرآن الكريم، والحديث عن أهل القرية الذين كذبوا الرسل

(١) التحرير والتنوير ج٢٢/ ٢٠٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عليهم السلام، والأدلة والبراهين على وجود الله ووحدانيته، وكل ذلك من المقاصد الأساسية لتثبيت العقيدة الإسلامية(١).

والسورة لها معاقد ثلاثة، المعقد الأول من بداية السورة إلى ضرب المثل بأصحاب القرية التي كذبت المرسلين، والمعقد الثاني يبدأ بنداء الحسرة للعباد الذين يكذبون الرسل ويستهزئون بهم، غير معتبرين بمصارع الممكذبين، ولا متيقظين لآيات الله في الكون، فهم في غفلة، لا تتوجه أنظارهم ، ولا تستيقظ قلوبهم، ولا يكفون عن سخريتهم وتكذيبهم واستعجالهم بالعذاب (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين). ثم المعقد الأخير الذي يلخص مقصود السورة من بدايتها، فيستعرض كل القضايا التي تعالجها السورة (قضية الألوهية والوحدانية، قضية البعث والنشور، قضية الوحي) كلها تتجه إلى إبراز يد القدرة وهي تعمل كل شيء في هذا الكون، وتمسك بمقاليد الأمور كلها(٢).

يقول ابن عاشور: ذَكَرَ عَقِبَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ لَمَّا مَنَعُوهُمُ الْإِنْفَاقَ بِعِلَّةِ أَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَأَطْعَمَهُمُ اسْتِهْزَاءً آخَرَ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي تَهْدِيدِهِمُ الْمُشْرِكِينَ بِعَذَابٍ يَحُلُّ بِهِمْ فَكَانُوا يَسْأَلُونَهُمْ هَذَا الْوَعْدَ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ، فَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ كِنَايَةً عَنِ التَّهَكُّمِ وَالتَّكْذِيبِ. وَأُطْلِقَ الْوَعْدُ عَلَى الْإِنْذَارِ وَالتَّهْدِيدِ بِالشَّرِّ لِأَنَّ الْوَعْدَ أَعَمُّ وَيَتَعَيَّنُ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِالْقَرِينَةِ. وَاسْمُ الْإِشَارَةِ لِلْوَعْدِ مُسْتَعْمَلٌ فِي الِاسْتِخْفَافِ بِوَعْدِ الْعَذَابِ(٣)

(١) إيجاز البيان في سور القرآن لمحمد علي الصابوني- مكتبة الغزالي- ط٢- ١٩٧٩مص ١٤٨.
(٢) ينظر الظلال ج٥ ، ٢٩٥٧: ٢٩٧٤
(٣) التحرير والتنوير ج٢٣/ ٣٣

أما الآية السادسة فكانت في ختام سورة الملك، وهي سورة مكية كذلك، مقصودها الدعوة إلى الإيمان بالله بطريق الترغيب والترهيب.

وقد جاءت الآية محل البحث في ختام السورة التي تعالج إنشاء تصور جديد للوجود وعلاقاته بخالق الوجود. تصور واسع شامل يتجاوز عالم الأرض الضيق وحيز الدنيا المحدود ، إلى عوالم في السماوات ، وإلى حياة في الآخرة. وإلى خلائق أخرى غير الإنسان في عالم الأرض كالجن والطير ، وفي العالم الآخر كجهنم وخزنتها. وإلى عوالم في الغيب غير عالم الظاهر تعلق بها قلوب الناس ومشاعرهم ، فلا تستغرق في الحياة الحاضرة الظاهرة ، في هذه الأرض(١).

والسورة تتفرع إلى خمسة عناصر:

- بدأت السورة بإثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة، فهو المهيمن على الأكوان.
- ثم تحدثت عن آية من أيات قدرة الله وهو خلق السموات السبع.
- ثم تحدثت عن المجرمين بشيء من الإسهاب، وهم يرون جهنم تتقطع من الغيظ والغضب على الكافرين.
- ساقت الأدلة والشواهد على عظمة الله وقدرته، ومثلت لحال المؤمن والكافر في استقبال هذه الأدلة.
- ثم ختمت بذكر استهزاء الكافرين بقولهم: متى هذا الوعد بالعذاب؟ وأمر الرسول أن يجيبهم بأن علمه عند الله وليس عليه إلا أن ينذرهم ويذكرهم بأنه حين يأتي الوعد سيعلمون من هو في ضلال مبين.

---

(١) فى ظلال القرآن ــ ج٦/ ٣٦٢٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والآية محل البحث جاءت في ختام السورة، كما هو واضح من عرض عناصر الصورة ومعاقدها.

فيحكي شكهم في هذا الحشر ، وارتيابهم في هذا الوعد :{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ } . .وهو سؤال الشاك المستريب .كما أنه سؤال المماحك المتعنت . فإن معرفة موعد هذا الوعد وميقاته لا تقدم ولا تؤخر؛ ولا علاقة لها بحقيقته ، وهو أنه يوم الجزاء بعد الابتلاء . ويستوي بالقياس إليهم أن يجيء غداً أو أن يجيء بعد ملايين السنين . . فالمهم أنه آت ، وأنهم محشورون فيه ، وأنهم مجازون بما عملوا في الحياة . ومن ثم لم يطلع الله أحداً من خلقه على موعده ، لأنه لا مصلحة لهم في معرفته ، ولا علاقة لهذا بطبيعة هذا اليوم وحقيقته ، ولا أثر له في التكاليف التي يطالب الناس بها استعداداً لملاقاته ، بل المصلحة والحكمة في إخفاء ميقاته عن الخلق كافة ، واختصاص الله بعلم ذلك الموعد ، دون الخلق جميعاً. وهنا يبرز بجلاء فارق ما بين الخالق والمخاليق . وتتجرد ذات الله ووحدانيته بلا شبيه ولا شريك . ويتمحض العلم له سبحانه . ويقف الخلق بما فيهم الرسل والملائكة في مقامهم متأدبين عند مقام الألوهية العظيم : {قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) } [الملك: ٢٦] وظيفتي الإنذار ، ومهمتي البيان . أما العلم فعند صاحب العلم الواحد بلا شريك[١].

(١) الظلال ج٦ / ٣٦٤٦

المبحث الثاني

بيان لأوجه التناسب بين الآيات ومطالع السور الواردة بها ومقاصدها وختامها، ووجه التناسب بين السور الست وسورة السجدة، وبينهم وما قبلهن وما بعدهن وبين فاتحة الكتاب

جاءت الآيات في سور ست مكيات، اجتمعت كلها في معالجة الموضوعات المتعلقة بالتوحيد والألوهية، وإثبات البعث والجزاء، وصدق النبوة والكتاب.

فجاءت سورة يونس لوصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة وأنه ليس إلا من عند سبحانه، لأن غيره لا يقدر على شيء منه. وذلك دالٌّ بلا ريب على أنه واحد في ملكه، لا شريك له في شيء من أمره. وتمام الدليل على هذا: قصة قوم يونس عليه السلام، بأنهم لما آمنوا كشف عنهم العذاب، فدل – قطعاً – على أن الآتي به إنما هو الله الذي آمنوا به، إذ لو كان غيره، لكان إيمانهم به سبحانه موجباً للإيقاع بهم، ولو عذبوا كغيرهم لقيل: هذه عادة الدهر، كما قالوا: {قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ } [الأعراف: ٩٥]. ودلّ ذلك على أن عذاب غيرهم من الأمم، إنما هو من عند الله لكفرهم، لما اتسق من ذلك طرداً بأحوال سائر الأمم، من أنه كلما وجد الإصرار على التكذيب، وجد العذاب[١]. ولما قدم في أول الأعراف الحث على إبلاغ النصيحة بهذا الكتاب وفرغ مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقائع الأولين ومصارع الماضين ومما استتبع ذلك من توصيل القول قي ترجمة هذا النبي الكريم مع قومه في أول أمره وأثنائه وآخر في

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ١٦٤)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سورتي الأنفال وبراءة ، وختم ذلك بأن سور الكتاب تزيد كل أحد مما هو ملائم له متهيئ لقبوله وتبعده عما هو منافر له بعيد من قبول ملاءمته وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قد حوى من الأوصاف والحلي والأخلاق العلى ما يوجب الإقبال عليه والإسراع إليه والإخبار بأن توليهم عنه لا يضره شيئاً لأن ربه لامثل له وأنه ذو العرش العظيم ؛ لما كان ذلك كذلك ، أعاد سبحانه القول في شأن الكتاب الذي افتتح به الأعراف وختم سورة التوبة، وزاده وصف الحكمة وأشار بأداة البعد إلى رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال(١).

ولما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت من آي التنبيه والتحريك للنظر، ومن العظات والتخويف والتهديد والترهيب والترغيب وتقريع المشركين والجاحدين والقطع بهم والإعلام بالجريان على حكم السوابق ووجوب التفويض والتسليم ما لم تشتمل على مثله سورة لتكرر هذه الأغراض فيها، وسبب تكرر ذلك فيها والله أعلم، أنها أعقبت بها السبع الطوال، واستوفت سورة الأنعام ما وقعت الإحالة عليه من أحوال الأمم السالفة كا تقدم، وبسطت ما أجمل من أمرهم، ثم أتبع ذلك بخطاب المستجيبين لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وحذروا وأنذروا كشف عن حال من تلبس بهم من عدوهم من المنافقين، وتم المقصود من هذا في سورة (الأنفال وبراءة) ثم عاد الخطاب إلى طريقة الدعاء إلى الله والتحذير من عذابه بعد بسط ما تقدم، فكان مظنة لتأكيد التخويف والترهيب لإتيان ذلك بعد بسط حال وإيضاح أدلة، فلهذا كانت سورة يونس عليه السلام مضَمَّنة من هذا ما لم يضمن غيرها، ألا ترى افتتاحها بقوله " {إِنَّ رَبَّكُمُ

(١) نظم الدرر المجلد ٣/ ٤١١، ٤١٢

اللَّهُ..... } [يونس: ٣ وما بعدها]، ومناسبة هذا الافتتاح دعاء الخلق إلى الله في سورة البقرة بقوله تعالى: " {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } [البقرة: ٢١] " ثم تأكدت المواعظ والزواجر والإشارات إلى أحوال المكذبين والمعاندين فمن التنبيه {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ..... } [يونس: ٣] {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } [يونس: ٦] {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} [يونس: ٣٥] {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [يونس: ١٠١] إلى غير هذا. وعلى هذا السنن تكررت العظات والأغراض المشار إليها في هذه السورة إلى قوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس: ١٠٨] فحصل من سورة الأعراف والأنفال وبراءة ويونس تفصيل ما كان أجمل فيما تقدمها، كما حصل مما تقدم تفصيل أحوال السالكين والمتنكبين، فلما تقرر هذا كله، أتبع المجموع بقوله: " كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ " في أول هود [١]

هذا عن علاقة سورة يونس بما قبلها وما بعدها ومطلعها وختامها.

أما سورة الأنبياء فمقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها، ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها، على الجليل والحقير، لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها. وهو من لا يبدل القول لديه. والدال على ذلك أوضح دلالة: مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام، ولا تستقل قصة منها استقلالا ظاهراً ولا تخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك، فنسبت إلى الكل[٢].

---

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر- ت: محمد شعباني- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ــ المغرب- ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م (ص: ٢٢٣، ٢٢٤) بتصرف

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٢٨٦)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما عن علاقة السورة بما قبلها: فإنه لما ختمت سورة طه بإنذارهم بأنهم سيعلمون الشقي والسعيد ، وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان، وتارة بمعاينة ظهور الدين، وتارة بإحلال العذاب بإزهاق الروح، بقتل أو غيره ، وتارة ببعثها يوم الدين ، افتتحت هذه بأظهر ذلك وهو اليوم الذي يتم فيه كشف الغطاء فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين وهو يوم الحساب ، فقال تعالى : {اقترب للناس} أي عامة أنتم وغيركم {حسابهم} أي في يوم القيامة ؛ وأشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب لأنه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها ، وأخر الفاعل تهويلاً لتذهب النفس في تعيينه كل مذهب، وقوله : {معرضون} كالتعليل للغفلة ، أي أحاطت بهم الغفلة بسبب إعراضهم عما يأتيهم منا ، وسيأتي ما يؤيد هذا في قوله آخرها { بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ } [الأنبياء: ٩٧] وإلا فالعقول قاضية بأنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء(١).

ولما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} وكان في معرض التهديد، وتكرر في مواضع منها كقوله تعالى: {وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥]" {سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩)} [الأنبياء: ٣٧ – ٣٩] {وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ} [الأنبياء: ٤٦] {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء: ٤٧] {وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٤٩] {كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ} [الأنبياء: ٩٣]"وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ" (آية: ٩٧) "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ " (آية: ٩٨)

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور المجلد ٥/ ١٦٤

"يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ" (آية: ١٠٤) إلى ما تخلل هذه الآي من التهديد وتشديد الوعيد حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة، وقد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ} أول سورة الحج، إلى قوله تعالى {وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج: ٢] ثم أتبع هذا ببسط الدلالات على البعث الأخير وإقامة البرهان(١)

أما سورة النمل: فمقصودها وصف، هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة. فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة، كما كان مقصود التي قبلها: إظهار البطش والنقمة. وأدل ما فيها على هذا المقصود: ما للنمل من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش، ولاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، وبلاغة التأدية(٢).

ولما أوضح في سورة الشعراء عظيم رحمته بالكتاب وبيان ما تضمنه مما فضح به الأعداء أو رحم به الأولياء، وبراءته من أن تتسور الشياطين عليه، وباهر آياته الداعية من اهتدى بها إليه، فتميز بعظيم آياته كونه فرقانا قاطعا ونورا ساطعا، أتبع سبحانه ذلك مدحا وثناءً، فقال: {تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ} [النمل: ١] أي الحاصل عنها مجموع تلك الأنوار آيات القرآن،

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن (ص: ٢٥٦)
(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٣٣٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

{وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [النمل: ١، ٢] ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة التبع وليقوى رجاؤه في النجاة، ثم أتبع ذلك بالتنبيه على صفة الأهلين لما تقدم من التقول والافتراء تنزيها لعباده المتقين وأوليائه المخلصين عن دنس الشكوك والافتراء فقال: في أول السورة (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ) النمل آية(٤) أي: يتحيرون فلا يفرقون بين النور والإظلام لارتياب الخواطر والأفهام، ثم أتبع ذلك بتسليته عليه السلام بالقصص الواقعة بعدُ؛ تنشيطا له وتعريفاً بعلو منصبه، وإطلاعا له على عجيب صنعه تعالى، ثم ختمت السورة بذكر أهل القيامة وبعض ما بين يديها والإشارة إلى الجزاء ونجاة المؤمنين، وتهديد من تنكب عن سبيله عليه السلام.

ولما ختم بقوله سبحانه: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ} [النمل: ٩١] إلى آخر السورة من التخويف والترهيب والإنذار والتهديد ما انجر معه الإشعار بأنه عليه السلام سيملك مكة ويفتحها تعالى عليه، ويذل عتاة قريش ومتمرديهم، ويعز أتباع رسوله عليه السلام ومن استضعفته قريش من المؤمنين، أتبع سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من نظير ما أشار إليه في قصة بني إسرائيل وابتداء امتحانهم بفرعون واستيلائه عليهم وفتكه بهم إلى أن أعزهم الله وأظهرهم على عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم. ولهذا أشار تعالى في كلا القصتين بقوله في الأولى: {سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا} [النمل: ٩٣] وبقوله في الثانية: {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} [القصص: ٦].(١)

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن ص: ٢٦٥،٢٦٦، ٢٦٧

أما سورة سبأ: فمقصودها: أن الدار الآخرة التي أشار إليها آخر الأحزاب بالعذاب والمغفرة، بعد أن أعلم أن الناس يسألون عنها، كائنة لا ريب في إتيانها، لما في ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة. ولقصة سبأ التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد لما فيها من الآيات الشاهدة – لاسيما عند العرب – على قدرته سبحانه على الإيجاد والإعدام، للذات والصفات، والتحويل لما يريد من الأحوال. والتصرف بالحكمة في الإعطاء والمنع ابتداء وجزاء لمن شكر، أو كفر(١).

ولما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة وحملها – وهي جميع ما في الوجود من المنافع – على السماوات والأرض والجبال ، فأشفقن منها وحملها الإنسان الذي هو الإنس والجان ، وأن نتيجة العرض والأداء والحمل العذاب والثواب ، فعلم أن الكل ملكه وفي ملكه ، خائفون من عظمته مشفقون من قهر سطوته وقاهر جبروته ، وأنه المالك التام المُلك والمِلك المطاع المتصرف في كل شيء من غير دفاع ، وختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة ، دل على ذلك كله بأن ابتدأ هذه قوله : {الحمد} أي الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق والأمر كله مطلقاً في الأولى والأخرى وغيرهما مما يمكن أن يكون ويحيط به عمله سبحانه {لله} ذي الجلال والجمال(٢).

فافتتحت بالحمد لله سبحانه لما أعقب بها ما انطوت عليه سورة الأحزاب من عظيم الآلاء وجليل النعماء، فكان مظنة الحمد على ما مَنح عباده المؤمنين وأعطاهم فقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٣٧٧)
(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور– المجلد ٦/ ٢١٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَمَا فِي الْأَرْضِ } [سبأ: ١] ملكا واختراعا ثم قال {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} [سبأ: ١٢] إلى قوله {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا } [سبأ: ١٣]، ثم أتبع ذلك بذكر حال من لم يشكر فذكر قصة سبأ إلى آخرها، ثم وبخ (تعالى) من عبد غيره معه بعد وضوح الأمر وبيانه، فقال: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ } [سبأ: ٢٢] إلى وصفه حالهَم الأخروي ومراجعة متكبريهم ضعفاءَهم، وضعفاءهم متكبريهم {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} [سبأ: ٣٣]، ثم التحمت الآي جارية على ما تقدم من لدن افتتاح السورة إلى ختمها.

ثم لما أوضحت سورة سبأ أنه سبحانه مالك السماوات والأرض ومستحق الحمد في الدنيا والآخرة، أوضحت سورة فاطر أن ذلك خلقه كما هو ملكه وأنه الأهل للحمد والمستحق، إذ الكل خلقه وملكه، ولأن السورة الأولى تجردت لتعريف العباد بأن الكل ملكه وخلقه، دارت آياتها على تعريف عظيم ملكه، فقد أعطي داود وسليمان عليهما السلام ما هو كالنقطة في البحار الزاخرة، فلان الحديد، وانقادت الرياح والوحوش والطير والجن والإنس مذللة خاضعة (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ سبأ آية(٢٢)) تعالى ربنا عن الظهير والشريك والند، وتقدس ملكه عن أن تحصيه العقول أو تحيط به الأفهام، فتجردت سورة سبأ لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه،وتجردت سورة فاطر للتعريف بالاختراع والخلق، وشهد لهذا استمرار آي سورة فاطر على هذا الغرض من التعريف وتنبيهها على الابتداءات كقوله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ...} [فاطر: ١][(١)].

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن (ص: ٢٨٣: ٢٨٦)

أما سورة يس فمقصودها: إثبات الرسالة التي هي روح الوجود، المفاض فيه من جهة المَلِكِ، وقلب جميع الحقائق، وبها قوامها للمرسل بها، الذي هو خالصة المرسلين، الذين هم قلب الموجودات كلها، ذوات ومعادن، إلى أهل مكة أم القرى وقلب الأرض، وهم قريش قلب العرب، الذين هم قلب الناس صلاحهم صلاحهم كلهم، وبفسادهم فسادهم، فلذلك كان من حولها جميع أهل الأرض. وجل فائدة الرسالة: إثبات الوحدانية للعزيز الرحيم، ذي الجلال والإكرام، والإنذار بيوم الجمع، الذي به صلاح الخلق فهو قلب الأكوان، وبه الصلاح أو الفساد للإنسان. وعلى ذلك تنطبق معاني أسمائها: يس، والقلب، والدافعة، والقاضية.لأن من اعتقد الرسالة كفته كل مهمة، ودفعت عنه كل ملمة. وقضت له بكل خير، وأعطته كل مراد. وكل هذا له أتمّ نظرٍ إلى القلب، كما لا يخفى.(١)

ولما كان قلب الإنسان هو المقصود بالذات من الأكوان في نحو ثلث بدنه من جهة رأسه، وكانت الياء في نحو ذلك من حروف " أبجد " فإنها العاشرة منها والسين بذلك المحل من حروف أ ب ت ث فإنها الثانية عشرة منها ، وعلا هذان الحرفان – بما فيهما من الجهر – عن غاية الضعف ونزلا بما لهما من الهمس عن نهاية الشدة ، إشارة إلى أن القلب الصحيح هو الزجاجي الشفاف الجامع بين الصلابة والرقة الذي علا بصلابته عن رقة الماء الذي لا يثبت فيه صورة ، ونزل بلطافته عن قساوة الحجر الذي لا يكاد ينطبع فيه شيء إلا بغاية الجهد ، فكان جامعاً بين الصلابة والرقة متهيئاً لأن تنطبع فيه الصور وتثبت ليكون قابلاً مفيداً ، فيكون متخلفاً من صفات موجدة بالقدرة والاختيار اللذين دلت عليهما سورة الملائكة ،

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ٣٨٩، ٣٩٠. بتصرف

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبمعرفة الخير فيجتلبه والشر فيجتنبه، فيكون فيه شاهد من نفسه على الاعتقاد الحق في صانعه، و الياء المهجورة أقوى فقدمت لجهرها ، وكانتا (الياء والسين) – بعد اختلاف بالجهر والهمس – قد اتفقتا في الانفتاح والرخاوة والاستفال؛ إشارة إلى أن القلب لا يصلح – كما تقدم – مع الصلابة التي هي في معنى الجهر إلا بالإخبات الذي هو في معنى الهمس، وبالنزول عن غاية الصلابة إلى حد الرخاوة لئلا يكون إلى ربه بالهمس فتعادلتا، ودل كونها من حروف النداء على خروجه عن الحد في الشدة حتى تبدو عنه تلك الآثار المُخْلِية للديار ، المنفية للصغار والكبار ، ثم الباغتة لهم من جميع الأقطار ، امتثالاً لأمر الواحد القهار ، وكان مخرجهما من اللسان الذي هو قلب المخارج الثلاثة لتوسطه وكثرة منافعه في ذلك ، وكانت الياء من وسطه والسين من طرفه ، وكان هذان المخرجان ، مع كونهما وسطاً ، مداراً لأكثر الحروف ، هذا مع ما لهما من الأسرار التي تدق عن تصور الأفكار ، قال تعالى : {يس} وإن كان المعنى : يا إنسان ، فهو قلب الموجودات المخلوقات كلها وخالصها وسرها ولبابها ، وإن أريد : يا سيد ، فهو خلاصة من سادهم ، وإن أريد : يا رجل ، فهو خلاصة البشر ، وإن أريد : يا محمد ، فهو خالصة الرجال الذين هم لباب البشر الذين هم سر الأحياء الذين هم عين الموجودات فهو خلاصة الخلاصة وخيار وعين القلب.

ولما تقدم في الملائكة (فاطر) إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتهديد قومه على النفرة عنه ، وأن مرسله تعالى بصير بعباده ، عالم بما يصلحهم ومن يصلح منهم للرسالة وغيرها ، وكان مدار مادة " قرأ " – كما مضى في سورة الحجر – الجمع مع الفرق ، وكان ذلك أعلى مقامات

السائرين إلى الله وهو وظيفة القلب ، عبر في القسم بقوله : {والقرآن} ووصفه بصفة القلب العارف فقال : {الحكيم*} أي الجامع من الدلالة على العلم المزين بالعمل والإرشاد إلى العمل المحكم بالعلم.

ولما كان قد ثبت في سورة الملائكة أنه سبحانه الملك الأعلى ، لما ثبت له من تمام القدرة وشمول العلم ، وكان من أجلّ ثمرات الملك إرسال الرسل إلى الرعايا بأوامر الملك وردهم عما هم عليه مما دعتهم إليه النفوس ، وقادتهم إليه الشهوات والحظوظ ، إلى ما يفتحه لهم من الكرم ، ويبصرهم به من الحكم ، وكانت الرسالة أحد الأصول الثلاثة التي تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، وكانت هي المنظور إليها أولاً لأنها السبب في الأصلين الآخرين ، وكانوا قد ردوا رسالته نفوراً واستكباراً ، قال مقدماً لها تقديم السبب على مسببه على وجه التأكيد البليغ مع ضمير الخطاب الذي لا يحتمل لبساً : {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس: ٣] أي الذين حكمت عقولهم على دواعي نفوسهم ، فصاروا – بما وهبهم الله القدرة النورانية – كالملائكة الذين قدم في السورة الماضية أنهم رسله وفي عدادهم بما تخلقوا به من أوامره ونواهيه وجميع ما يرتضيه(١).

فأوضحت سورة سبأ وسورة فاطر عظيم ملكه تعالى وتوحده بذلك وانفراده بالملك والخلق والاختراع، ما تنقطع العقول دون تصور أدناه، ولا تحيط من ذلك إلا بما شاءه، وأشارت من البراهين والآيات إلى ما يرفع الشكوك ويوضح السلوك مما كانت الأفكار قد خمدت عن إدراكها واستولت عليها الغفلة، فكأن قد خمدت عن معهود حراكها، فذكر سبحانه بنعمة التحريك إلى اعتبارها بثنائه على من اختاره لبيان تلك الآيات واصطفاه،

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ٦/ ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بإيضاح تلك البينات فقال تعالى: يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) ثم قال{ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)} [يس: ٦] فأشار سبحانه إلى ما تثمر نعمة الإنذار ويبعثه التيقظ بالتذكار، ثم ذكر علة من عمي بعد تحريكه، وإن كان مسببا عن الطبع وشر السابقة {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [يس: ٧]، ثم أشار بعد إلى بعض من عمي عن عظيم تلك البراهين لأول وهلة، قد يهتز عن تحريكه لسابق سعادته فقال تعالى: "{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى} [يس: ١٢] فكذا نفعل بهؤلاء إذا شئنا هدايتهم {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: ١٢٢] ثم ذكر دأب المعاندين وسبيل المكذبين مع بيان الأمر فقال: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ .....} [يس: ١٣] وما بعدها، وأتبع ذلك سبحانه بما أودع في الوجود من الدلائل الواضحة والبراهين فقال: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ.... الآية٣١ " ثم قال: "وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا" إلى قوله "أَفَلَا يَشْكُرُونَ" (آية: ٣٣) ثم قال: "{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ } إلى – قوله: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} (الآيات: ٣٧ – ٤٠) ثم قال: {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ } إلى قوله: { إِلَى حِينٍ } (الآيات: ٤١ – ٤٤) ثم ذكروا إعراضهم مع عظيم هذه البراهين وتكذيبهم وسوء حالهم عند بعثتهم وندمهم وتوبيخهم وشهادة أعضائهم بأعمالهم ثم تناسجت الآي جارية على ما يلائم ما تقدم إلى آخر السورة.

ولما تضمنت سورة يس من جليل التنبيه وعظيم الإرشاد ما يهتدي الموفق باعتبار بعضه ويشتغل المعتبر به في تحصيل مطلوبه وفرضه،

ويشهد بأن الملك جملته لواحد وإن رغم أنف المعاند والجاحد، أتبعها تعالى بالقسم على وحدانيته فقال تعالى: "وَالصَّافَّاتِ صَفًّا"(١)

أما سورة الملك فمقصودها: الخضوع للهِ، لاتصافه بكمال الملك، الدال عليه تمام القدرة، الدال عليه قطعاً إحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه مع إحكام المصنوعات، علم ما في الصدور، لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هي عادة الملوك، لتكمل الحكمة، وتتم النعمة. واسمها "الملك" واضح في ذلك، لأن الملك محل الخضوع، من كل مايرى الملك. وكذا "تبارك" لأن من كان كذلك، كان له تمام الثبات والبقاء. فكان له من كل شيء كمال الخضوع والاتقاء. وكذا اسمها: المانعة، والواقية، والمنجية. لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة ومن لزمها نجا مما يخاف، ومنع من كل هول، ووقى كل محذور(٢).

ولما كان قد أوقع في آخر سورة التحريم ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر ، وأعلى آية لمن استبصر ، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين قد بعثهما الله تعالى رحمة لعباده واجتهدا في دعاء الخلق ، فحرم الاستنارة بنورهما والعياذ بهداهما من لم يكن أحد من جنسهما أقرب إليهما منه ولا أكثر مشاهدة لما مدا به من الآيات وعظيم المعجزات ، ومع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، ثم أعقبت هذه العظة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يغرها مرتكب صاحبها وعظيم جرأته، مع شدة الوصلة واستمرار الألفة لما سبق لها في

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن ص: ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩
(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٣/ ١٠٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العلم القديم من السعادة وعظيم الرحمة فقالت : {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ } [التحريم: ١١] وحصل في هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك به أولى الناس في ظاهر الأمر، وتقديم سبب امتحان عصم منه أقرب الناس إلى التورط فيه ، ثم أعقب ذلك بقصة عريت عن مثل هذين السببين وانفصلت في مقدماتها عن تلك القصتين ، وهو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب ، وأن القلوب بيد العزيز الوهاب ، أعقب تعالى ذلك. بقوله الحق {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك: ١] وإذا كان الملك سبحانه وتعالى بيده الملك فهو الذي يؤتي الملك والفضل من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء كما صرحت به الآية الأخرى في آل عمران ، فقد التضح اتصال سورة الملك بما قبلها ثم بنيت سورة الملك على التنبيه والاعتبار ببسط الدلائل ونصب البراهين(١)

وورود ما افتتحت به هذه السورة من التنزيه وصفات التعالي إنما يكون عقب تفصيل وإيراد عجائب من صنعه سبحانه كورود قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤] عقب تفصيل التقلب الإنساني من لدن خلقه من سلالة من طين إلى إنشائه خلقا آخر، وكذا كل ما ورد من هذا ما لم يرد أثناء آى قد جردت للتنزيه والإعلام بصفات التعالي والجلال.

ولما تضمنت سورة الملك من عظيم البراهين ما تعجز العقول من استيفاء الاعتبار ببعضه كالاعتبار بخلق السماوات في قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ....إلى آخر السورة، وأدناها كاف في الاعتبار،

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ٨٨)

فأنى يصدر نقص عن متصف ببعض ما هزؤوا به في قولهم: مجنون وساحر وشاعر، "بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ". فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين، أتبعت بتنزيه الآتي به – صلى الله عليه وسلم – مما تقوَّله المبطلون، مقسما على ذلك زيادة في التعظيم وتأكيدا في التعزيز والتكريم فقال تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)} [القلم: ١، ٢] وأنى يصح تَصوُّر بعد تلك البراهين وقد انقطعت دونك أنظار العقلاء، فكيف ببسطها وإيضاحها في نسق موجز، ونظم معجز، وتلاؤم حير العقول، وعبارة تفوق كل مقول، تعرف، ولا تدرك، ويستوضح سبيلها فلا يسلك {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء: ٨٨].

فقوله سبحانه {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ } [القلم: ٢] جواب لقوله تعالى في آخر السورة {وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القلم: ٥١]، وتقدم الجواب بنفي قولهم والتنزيه عنه على حكاية قولهم ليكون أبلغ في إجلاله – صلى الله عليه وسلم –، وأخف وقعا عليه وأبسط لحاله في تلقى ذلك منهم، ولذا قدم مدحه – صلى الله عليه وسلم – بما خص به من الخلق العظيم، فكان هذا أوقع في الإجلال من تقديم قولهم ثم رده، إذ كسر سَوْرَةِ تلك المقالة الشنعاء بتقديم التنزه عنها أتم في الغرض وأكمل، ولا موضع أليق بذكر تنزيهه عليه الصلاة والسلام ووصفه من الخلُق والمنح الكريمة بما وصف، مما أعقب به ذلك إذ بعض ما تضمنته سورة الملك، شاهد قاطع لكل عاقل منصف بصحة نبوته – صلى الله عليه وسلم – وجليل صدقه {وَلَوْ كَانَ مِنْ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [النساء: ٨٢] فقد تبين موقع هذه السورة هنا، وتلاؤم ما بعد من آيها(١)

والمتأمل في كلام العلماء يجد القرآن الكريم حلقات في سلسلة واحدة كل واحدة تفضي إلى أختها، وتمسك بعضدها، ولا سيما السور التي اتحد موضوعها الأعم.

فالمقصود الأعظم للسور الست دار في فلك إثبات الألوهية والبعث، وصحة هذا الكتاب المنزل، مع ذكر دلائل وفرعيات تؤيد وتدلل على صحة هذا المعنى وتؤكد ثبوته.

والمتدبر للسور يجد أن يونس والنمل ويس بدأت بالحروف المقطعة للإشارة إلى إعجاز هذا الكتاب المعجز، الذي هو منظوم من حروف لغتهم، وعلى وفق ما ينظمون، إلا أنه من لدن حكيم خبير، يجري على نسق بديع، خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس يغاير المألوف من طرائقهم، والآيات التي معنا دليل على أن القرآن الكريم يخرج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارات بأساليب مختلفة تفصيلا وإجمالا.

تأمل ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين في سورة يونس ماذا جاء بعدها؟ {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [يونس: ٤٩]

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن ص: ٣٤١: ٣٤٥

وتأمل ما جاء بعد نفس الآية في سورة الأنبياء: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [الأنبياء: ٣٩]

وما جاء بعدها في سورة النمل: {قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ} [النمل: ٧٢]

وما جاء بعدها في سورة سبأ ": {قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} [سبأ: ٣٠]

وما جاء بعدها في سورة يس: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ } [يس: ٤٩، ٥٠]

وما جاء بعدها في سورة الملك: {قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الملك: ٢٦]

وهو يهدف من وراء ذلك كله إنهاء حقائق الدين ومعاني الوعد والوعيد إلى النفوس بطريقة تألفها، فقد تكرر تركيب الآية على مدار الست السور، إلا أن ربطها بما قبلها وما بعدها، جعلها تخرج كل مرة بمعنى جديد، ينبه ويؤكد على ما سبق، ويضيف للمعنى شيئا جديدا لم يكن في سابقه.

كما جاء الاستهلال بالجملة الخبرية في سورة الأنبياء مطابقا لمقتضى الحال، فقد أربى على كل غاية، وفاق كل بيان، حيث بين للناس جميعا قرب وقت حسابهم على أعمالهم، وهم غافلون عن ذلك اليوم الرهيب لا يعملون للآخرة، ولا يستعدون لها... وهي في البدء والنهاية تصور مشاهد القيامة بأسلوب قوي مؤثر(١).

(١) حسن الابتداء في سور القرآن الكريم –د/ عبد المجيد عبد المجيد هنداوي– ١٩٩٩. ص٦٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والاستفتاح بالحروف المقطعة يدل على أن السور المستهلة بتلك الحروف فيها حديث مباشر عن روعة القرآن الكريم وإعجازه، وإن لم يكن مباشرا فإنه يأتي في غضون السورة مبينا فضل القرآن وأثره، ومنتصرا له على سواه(١).

من هنا يتحقق كلام الطيبي: أن براعة الاستهلال في الابتداء بحروف التهجي، هي من البلاغة بمكان، فإنها توقظ السامعين للإصغاء إلى ما يرد بعدها؛ لأنهم إذا سمعوها من مثله صلى الله عليه وسلم علموا أنها والمتلو بعدها من جهة الوحي، أو تنبهوا على أن المتلو عليهم، وقد عجزوا عنه، من جنس ما ينظمون من كلامهم(٢).

وأما سورتي سبأ والملك فقد بدأتا بالحمد والثناء على الله جل في علاه.

بدأت سبأ بالحمد لله ضمن خمس سور من القرآن الكريم ابتدأت بالحمد، وهي سور: (الفاتحة- الأنعام- الكهف- سبأ- فاطر).

وحسن الافتتاح بالحمد تركز حول شيئين: (تربية مادية بإقامة البنيان بالقوت، أو بقاء النوع بالتزاوج، أو بتربيتهم تربية روحية قيمة، فيمدهم بمنهج السماء)(٣).

---

(١) ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية -د/ عبد العظيم المطعني- مكتبة وهبة- القارة. ج١/ ٢٠٥وحسن الابتداء ص ٣٧.

(٢) ينظر التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي- ت: هادي عطية- مطبعة النهضة المصرية. ص ٤٥٦

(٣) حسن الابتداء ص١٣.

والحمد يكون على النعمة وغيرها فالله تعالى يستحق الحمد أولا بكمال ذاته وعظمة صفاته وثانيا بجميل نعمائه وجزيل آلائه، كما إن نعمة الله تعالى على كثرتها ترجع إلى إيجاد وإبقاء أولا وإيجاد وإبقاء ثانيا فيحمده على القسمين تأسيا بالسور المفتتحة بالتحميد حيث أشير في الفاتحة إلى الجميع وفي الأنعام إلى الإيجاد وفي الكهف إلى الإبقاء أولا، وفي سبأ إلى الإيجاد وفي الملائكة إلى الإبقاء[١].

وفي سورة الملك: استهلت بالتمجيد والثناء على الله تعالى العلي الكبير، دالة على الغرض الذي سيقت من أجله، فكان ابتداء الكلام دالا على انتهائه، حيث تناولت السورة إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة، وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين، ثم بيان عاقبة الجاحدين المكذبين للبعث والنشور[٢].

وبعد هذا البيان الوافي للآيات بمعاقدها وسورها، وأوجه المناسبة بينها، بقيت الإشارة إلى موطن سابع في سورة السجدة، خالفت فيه نظم الآيات التي معنا بكلمة واحدة، حيث يقول تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [السجدة: ٢٨] بذكر كلمة الفتح بدل الوعد، في ختام سورة السجدة، وهي أيضا من السور المكية وترتيبها في النزول الخامسة والسبعون، أما في الترتيب التوقيفي الذي عليه المصحف الشريف الثانية والثلاثون.

---

(١) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه. لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي-ت: زكريا عميرات- دار الكتب العلمية-بيروت-١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. ج١/ ص٦

(٢) ينظر حسن الابتداء ص ١٧، ١٨ بتصرف.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومقصودها: إنذار الكفار بهذا الكتاب، السَّارِّ للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار، واسمها "السجدة" منطبق على ذلك بما دعت إليه آيتها من الأخبار، وترك الاستكبار(١).

ثُمَّ إنه سبحانه لَمَّا بَيَّنَ الرِّسَالَةَ وَالتَّوْحِيدَ، بَيَّنَ الْحَشْرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَصَارَ تَرْتِيبُ آخِرِ السُّورَةِ كَتَرْتِيبِ أَوَّلِهَا حَيْثُ ذَكَرَ الرِّسَالَةَ فِي أَوَّلِهَا بِقَوْلِهِ: لِتُنْذِرَ قَوْماً وَفِي آخِرِهَا بِقَوْلِهِ: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ [السجدة: ٢٣]، وَذَكَرَ التَّوْحِيدَ بِقَوْلِهِ: الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ [السجدة: ٤] وَقَوْلِهِ: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ [السجدة: ٧] وَفِي آخِرِ السُّورَةِ ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ [السجدة: ٢٦] وَقَوْلِهِ: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ" وَذَكَرَ الْحَشْرَ في أولها بقوله: وَقالُوا أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ [السجدة: ١٠] وَفِي آخِرِهَا بِقَوْلِهِ: وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْفَتْحُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [السجدة: ٢٩]أَيْ لَا يُقْبَلُ إِيمَانُهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ الْمَقْبُولَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي دَارِ الدنيا، ولا يُنْظَرُونَ، أَيْ لَا يُمْهَلُونَ بِالْإِعَادَةِ إِلَى الدُّنْيَا لِيُؤْمِنُوا فَيُقْبَلَ إِيمَانُهُمْ، ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَ الْمَسَائِلَ وَأَتْقَنَ الدَّلَائِلَ وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ. قَالَ تَعَالَى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} [السجدة: ٣٠]أَيْ لَا تُنَاظِرْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا الطَّرِيقُ بَعْدَ هَذَا الْقِتَالُ. وَقَوْلُهُ: وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا أَحَدُهَا: وَانْتَظِرْ هَلَاكَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ هَلَاكَكَ، وَعَلَى هَذَا فَرَّقَ بَيْنَ الِانْتِظَارَيْنِ، لِأَنَّ انْتِظَارَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسَلَّمَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ وَعْدِهِ، وَانْتِظَارَهُمْ بِتَسْوِيلِ أَنْفُسِهِمْ وَالتَّعْوِيلِ عَلَى الشَّيْطَانِ. وَثَانِيهَا: وَانْتَظِرِ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٣٦١)

يَنْتَظِرُونَ النَّصْرَ مِنْ آلِهَتِهِمْ وَفَرَّقَ بَيْنَ الِانْتِظَارَيْنِ. وَثَالِثُهَا: وَانْتَظِرْ عَذَابَهُمْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ بِلَفْظِهِمُ اسْتِهْزَاءً، كَمَا قَالُوا: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف: ٧٠] {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل: ٧١] (١).

هذه السورة المكية نموذج آخر من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة الضخمة التي جاء القرآن ليوقظها في الفطر ، ويركزها في القلوب : عقيدة الدينونة للّه الأحد الفرد الصمد ، خالق الكون والناس ، ومدبر السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما من خلائق لا يعلمها إلا اللّه. والتصديق برسالة محمد – صلّى اللّه عليه وسلّم – الموحى إليه بهذا القرآن لهداية البشر إلى اللّه. والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء.

هذه هي القضية التي تعالجها سورة السجدة وهي نفسها القضية التي تعالجها سائر السور المكية. كل منها تعالجها بأسلوب خاص ، ومؤثرات خاصة تلتقي كلها في أنها تخاطب القلب البشري خطاب العليم الخبير ، المطلع على أسرار هذه القلوب وخفاياها ، ومنحنياتها ودروبها ، العارف بطبيعتها وتكوينها ، وما يستكن فيها من مشاعر، وما يعتريها من تأثرات واستجابات في جميع الأحوال والظروف(٢).

وسورة السجدة تعالج تلك القضية بأسلوب وبطريقة غير أسلوب وطريقة سورة لقمان السابقة. فهي تعرضها في آياتها الأولى ثم تمضي بقيتها تقدم مؤثرات موقظة للقلب ، منيرة للروح ، مثيرة للتأمل والتدبر كما

(١) التفسير الكبير ج٢٥/ ١٨٧، ١٨٨
(٢) فى ظلال القرآن ــ (٥/ ٢٨٠٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تقدم أدلة وبراهين على تلك القضية معروضة في صفحة الكون ومشاهده وفي نشأة الإنسان وأطواره وفي مشاهد من اليوم الآخر حافلة بالحياة والحركة وفي مصارع الغابرين وآثارهم الناطقة بالعبرة لمن يسمع لها ويتدبر منطقها! كذلك ترسم السورة صورا للنفوس المؤمنة في خشوعها وتطلعها إلى ربها. وللنفوس الجاحدة في عنادها ولجاجها وتعرض صورا للجزاء الذي يتلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وكأنها واقع مشهود حاضر للعيان ، يشهده كل قارئ لهذا القرآن.

وفي كل هذه المعارض والمشاهد تواجه القلب البشري بما يوقظه ويحركه ويقوده إلى التأمل والتدبر مرة ، وإلى الخوف والخشية مرة ، وإلى التطلع والرجاء مرة. وتطالعه تارة بالتحذير والتهديد ، وتارة بالإطماع ، وتارة بالإقناع .. ثم تدعه في النهاية تحت هذه المؤثرات وأمام تلك البراهين. تدعه لنفسه يختار طريقه ، وينتظر مصيره على علم وعلى هدى وعلى نور. ويمضي سياق السورة في عرض تلك القضية في أربعة مقاطع أو خمسة متلاحقة متصلة : يبدأ بالأحرف المقطعة «ألف. لام. ميم» منبها بها إلى تنزيل الكتاب من جنس هذه الأحرف. ونفي الريب عن تنزيله والوحي به : «مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» .. ويسأل سؤال استنكار عما إذا كانوا يقولون : افتراه. ويؤكد أنه الحق من ربه لينذر قومه «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ».

وهذه هي القضية الأولى من قضايا العقيدة : قضية الوحي وصدق الرسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – في التبليغ عن رب العالمين. ثم يعرض قضية الألوهية وصفتها في صفحة الوجود : في خلق السماوات والأرض وما بينهما ، وفي الهيمنة على الكون وتدبير الأمر في السماوات والأرض ،

ورفع الأمر إليه في اليوم الآخر .. ثم في نشأة الإنسان وأطواره وما وهبه اللّه من السمع والبصر والإدراك. والناس بعد ذلك قليلا ما يشكرون.

وهذه هي القضية الثانية : قضية الألوهية وصفتها : صفة الخلق ، وصفة التدبير ، وصفة الإحسان ، وصفة الإنعام ، وصفة العلم. وصفة الرحمة. وكلها مذكورة في سياق آيات الخلق والتكوين.

ثم يعرض قضية البعث ، وشكهم فيه بعد تفرق ذراتهم في التراب : «وَقَالُوا : أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ؟» ويرد على هذا الشك بصيغة الجزم واليقين.

وهذه هي القضية الثالثة : قضية البعث والمصير.

ومن ثم يعرض مشهدا من مشاهد القيامة : «إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعلنون يقينهم بالآخرة ويقينهم بالحق الذي جاءتهم به الدعوة. ويقولون الكلمة التي لو قالوها في الدنيا لفتحت لهم أبواب الجنة ولكنها في موقفهم ذاك لا تجدي شيئا ولا تفيد. لعل هذا المشهد أن يوقظهم – قبل فوات الأوان – لقول الكلمة التي سيقولونها في الموقف العصيب. فيقولوها الآن في وقتها المطلوب. وإلى جوار هذا المشهد البائس المكروب يعرض مشهد المؤمنين في هذه الأرض : {إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة: ١٥، ١٦] وهي صورة موحية شفافة ترف حولها القلوب. يعرض إلى جوارها ما أعده اللّه لهذه النفوس الخاشعة الخائفة الطامعة من نعيم يعلو على تصور البشر: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٧] ويعقب عليه بمشهد سريع لمصائر المؤمنين والفاسقين في جنة المأوى وفي نار الجحيم. وبتهديد المجرمين بالانتقام منهم في الأرض أيضا قبل أن يلاقوا مصيرهم الأليم(١).

ثم ترد إشارة إلى موسى – عليه السّلام – ووحدة رسالته ورسالة محمد – صلّى اللّه عليه وسلّم – والمهتدين من قومه ، وصبرهم على الدعوة ، وجزائهم على هذا الصبر بأن جعلهم اللّه أئمة. وفي هذه الإشارة إيحاء بالصبر على ما يلقاه الدعاة إلى الإسلام من كيد ومن تكذيب.

وتعقب هذه الإشارة جولة في مصارع الغابرين من القرون ، وهم يمشون في مساكنهم غافلين .. ثم جولة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء بالحياة والنماء فيتقابل مشهد البلى ومشهد الحياة في سطور.

وتختم السورة بحكاية قولهم : «مَتى هذَا الْفَتْحُ؟» وهم يتساءلون في شك عن يوم الفتح الذي يتحقق فيه الوعيد. والجواب بالتخويف من هذا اليوم والتهديد. وتوجيه الرسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – ليعرض عنهم ويدعهم لمصيرهم المحتوم.

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} [السجدة: ٢٧].

فهذه الأرض الميتة البور ، يرون أن يد اللّه تسوق إليها الماء المحيي فإذا هي خضراء مملوءة بالزرع النابض بالحياة. الزرع الذي تأكل منه أنعامهم وتأكل منه أنفسهم. وإن مشهد الأرض الجدبة والحيَا يصيبها فإذا هي خضراء .. إن هذا كله ليفتح نوافذ القلب المغلقة لاستجلاء هذه

(١) فى ظلال القرآن ــ (٥/ ٢٨٠٤)

الحياة النامية واستقبالها والشعور بحلاوة الحياة ونداوتها والإحساس بواهب هذه الحياة الجميلة الناضرة إحساس حب وقربى وانعطاف مع الشعور بالقدرة المبدعة واليد الصناع ، التي تشيع الحياة والجمال في صفحات الوجود.

وهكذا يطوّف القرآن بالقلب البشري في مجالي الحياة والنماء ، بعد ما طوّف به في مجالي البلى والدثور ، لاستجاشة مشاعره هنا وهناك ، وإيقاظه من بلادة الألفة ، وهُمُود العادة ولرفع الحواجز بينه وبين مشاهد الوجود ، وأسرار الحياة ، وعبر الأحداث ، وشواهد التاريخ. وفي النهاية يجيء المقطع الأخير في السورة بعد هذا المطاف الطويل. فيحكي استعجالهم بالعذاب الذي يوعدون وشكهم في صدق الإنذار والتحذير. ويرد عليهم مخوفا محذرا من تحقيق ما يستعجلون به ، يوم لا ينفعهم إيمان ، ولا يمهلون لإصلاح ما فات. ويختم السورة بتوجيه الرسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – إلى الإعراض عنهم ، وتركهم لمصيرهم المحتوم:{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ* فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ } [السجدة: ٢٨- ٣٠]

والفتح هو الفصل فيما بين الفريقين من خلاف وتحقق الوعيد الذي كان يخدعهم أنه لا يجيئهم من قريب وهم غافلون عن حكمة اللّه في تأخيره إلى أجله الذي قدره ، والذي لا يقدمه استعجالهم ولا يؤخره. وما هم بقادرين على دفعه ولا الإفلات منه.

يقول ابن عاشور: والْفَتْحُ: النَّصْرُ وَالْقَضَاءُ. وَالْمُرَادُ بِهِ: نَصْرُ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِظُهُورِ فَوْزِهِمْ وَخَيْبَةِ أَعْدَائِهِمْ فَإِنَّ خَيْبَةَ الْعَدُوِّ نَصْرٌ لِضِدِّهِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَحَدَّوْنَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ بَيْنَهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ وَتَظْهَرُ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حُجَّتُهُمْ، فَكَانَ الْكَافِرُونَ يُكَرِّرُونَ التَّهَكُّمَ بِالْمُسْلِمِينَ بِالسُّؤَالِ عَنْ وَقْتِ هَذَا الْفَتْحِ اسْتِفْهَامًا مُسْتَعْمَلًا فِي التَّكْذِيبِ حَيْثُ لَمْ يَحْصُلِ الْمُسْتَفْهَمُ عَنْهُ. وَحِكَايَةُ قَوْلِهِمْ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِإِفَادَةِ التَّعْجِيبِ مِنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ [هود: ٧٤] مَعَ إِفَادَةِ تَكَرُّرِ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُ. وَالْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنَّهُ وَاقِعٌ فَبَيِّنُوا لَنَا وَقْتَهُ فَإِنَّكُمْ إِذْ عَلِمْتُمْ بِهِ دُونَ غَيْرِكُمْ فَلْتَعْلَمُوا وَقْتَهُ. وَهَذَا مِنَ السَّفْسَطَةِ الْبَاطِلَةِ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِالشَّيْءِ إِجْمَالًا لَا يَقْتَضِي الْعِلْمَ بِتَفْصِيلِ أَحْوَالِهِ حَتَّى يُنْسَبَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهُ إِلَى الْكَذِبِ فِي إِجْمَالِهِ. وَاسْمُ الْإِشَارَةِ فِي هذَا الْفَتْحُ مَعَ إِمْكَانِ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِذِكْرِ مُبَيِّنِهِ مَقْصُودٌ مِنْهُ التَّحْقِيرُ وَقِلَّةُ الِاكْتِرَاثِ بِهِ...فَأَمَرَ اللَّهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ بِأَنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ الْحَقِّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ وَحِينَئِذٍ يَنْقَطِعُ أَمَلُ الْكُفَّارِ فِي النَّجَاةِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنَ النَّدَامَةِ وَالتَّوْبَةِ وَلَا يَجِدُونَ إِنْظَارًا لِتَدَارُكِ مَا فَاتَهُمْ، أَيْ إِفَادَتُهُمْ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ خَيْرٌ لَهُمْ مَنْ تَطَلُّبِهِمْ مَعْرِفَةَ وَقْتِ حُلُولِ يَوْمِ الْفَتْحِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صالحاً إِنَّا مُوقِنُونَ، مَعَ مَا فِي هَذَا الْجَوَابِ مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ زَمَنَ حُلُولِهِ غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلنَّاسِ وَأَنَّهُ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ فَعَلَى مَنْ يَحْتَاطُ لِنَجَاةِ نَفْسِهِ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ مِنَ الْآنَ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يَحِلُّ بِهِ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً. فَفِي هَذَا الْجَوَابِ سُلُوكُ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ مِنْ وَجْهَيْنِ: مِنْ وَجْهِ الْعُدُولِ عَنْ تَعْيِينِ يَوْمِ الْفَتْحِ، وَمِنْ وَجْهِ الْعُدُولِ بِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَتْحِ الْحَقِّ، وَهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا بِالْفَتْحِ نَصْرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا(١).

(١) التحرير والتنوير ج٢١/ ٢٤٣

وسواء كان هذا اليوم في الدنيا. إذ يأخذهم اللّه وهم كافرون ، فلا يمهلهم بعده ، ولا ينفعهم إيمانهم فيه. أو كان هذا اليوم في الآخرة إذ يطلبون المهلة فلا يمهلون : وهذا الرد يخلخل المفاصل ، ويزعزع القلوب .. ثم يعقبه الإيقاع الأخير في السورة : «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ».

وفي طياته تهديد خفي بعاقبة الانتظار ، بعد أن ينفض الرسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – يده من أمرهم ، ويدعهم لمصيرهم المحتوم. وتختم السورة على هذا الإيقاع العميق ، بعد تلك الجولات والإيحاءات والمشاهد والمؤثرات ، وخطاب القلب البشري بشتى الإيقاعات التي تأخذ من كل جانب ، وتأخذ عليه كل طريق [١].

وهكذا تتجلى وجوه المناسبة بين السجدة وأخواتها الست، إذ اتفقت جميعا في عرض موضوع العقيدة والإيمان بالبعث، والكتاب المنزل، وانفردت كل واحدة منها بسياقها المعجز، وجوها المتفرد، وأسلوبها الذي على غير مثال سبق. إنه حقا كتاب أحكمت آياته من لدن حكيم خبير.

(١) فى ظلال القرآن ــ ج٥/ ٢٨١٥، ٢٨١٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة

بعد البيان والتفصيل، وعرض ما قاله العلماء في الآيات محل البحث، وبيان وجوه المناسبة يمكن عرض ما يلي:

- إن علم التناسب علم اقتضاء، والبلاغة تبحث في مقتضى الحال وموافقته مع حال المتلقي، والقرآن الكريم بإعجاز نظمه، قد بلغ الحد الأعلى في نظمه كما بلغ الحد الأعلى في تناسب أيه وسوره.
- جاء التناسب واضحا بين كل آية من الآيات الست وبين المعقد أو الموضوع من السورة، على اختلاف ورود الآيات. من ورودها في المعقد الثاني أو ما بعد الاستهلال من السورة، وبين ورودها في ختام السورة، فقد لاءمت في كلٍّ موضعها ومكانها، وأوفت بمعناها. ورغم التشابه النظمي في تركيبها إلا أن ما قبلها وما بعدها أفاد في كل مرة جديدا لم يرد قبلا، بل حمل معناها تأكيد سخريتهم واستهزائهم؛ تسجيلا عليهم في كل مرة.
- مجيء السور التي بها الآيات كلها مكية دليل واضح على أول وجوه الاتفاق والتناسب بين هذه السور، إذ كلها عالجت موضوع العقيدة والتوحيد وما يلازمه من الإيمان باليوم الآخر، والتصديق بالكتاب المنزَّل، فدارت جميعها بين الترغيب والترهيب، وعرضت موازنات بين مآل المؤمنين والكافرين.

- اتفقت معاقد السور التي فيها الآيات محل البحث على المعنى العام في ذكر موقف الجاحدين للبعث المنكرين لوقوعه، ورغم تنوع الردود في كل سورة على مقولتهم "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" إلا أنها وافقت المقصود الأعظم من المعقد ومن السورة كلها.

- وضح التناسب بين السور محل ورود الآيات بينها وبين ما قبلها وما بعدها فاتصلت جميعها ببعضها البعض برباط المعنى، وهو رباط يتجدد في كل سورة بمعنى يؤسس في السورة التي قبلها، ويؤكد في الآتية وراءها، يظهر أحيانا ذلك الرباط جليا في السور القريبة، ويغمض ويلطف، ويحتاج إلى مزيد تدبر إذا بعد الطريق، والسور جميعها لها رباط يربطها بأم الكتاب، فهي بين اتصال بقوله تعالى " مالك يوم الدين"، وبين قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم".

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثبت المصادر والمراجع

- إيجاز البيان في سور القرآن لمحمد علي الصابوني- مكتبة الغزالي- ط٢- ١٩٧٩م .
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ت:أحمد عبد الله القرشي رسلان -الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة-١٤١٩هـ
- البرهان فى تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر- ت: محمد شعباني- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ــ المغرب- ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي- ت: هادي عطية- مطبعة النهضة المصرية.
- التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور- دار سحنون- تونس.
- التفسير الكبير للفخر الرازي- دار إحياء التراث العربي- ط٣- بيروت.
- التكرار بلاغة. د/ إبراهيم محمد الخولي- الشركة العربية للطباعة والنشر.
- حسن الابتداء في سور القرآن الكريم -د/ عبد المجيد عبد المجيد هنداوي- ١٩٩٩.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية -د/ عبد العظيم المطعني- مكتبة وهبة- القاهرة.

- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه. لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي-ت: زكريا عميرات- دار الكتب العلمية-بيروت-١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- العزف على أنوار الذكر(معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة)-د/محمود توفيق محمد سعد -١٤٢٤هـ.
- فى ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون لأقاويل للزمخشري- دار المعرفة بيروت.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للإمام البقاعي- مكتبة المعارف – الرياض ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي- دار الكتب العلمية.
- النظم الفني في القرآن للشيخ عبد المتعال الصعيدي- مكتبة الآداب- القاهرة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٣٠٣
٢.	Abstract	٥٣٠٤
٣.	المقدمة	٥٣٠٥
٤.	تمهيد	٥٣٠٨
٥.	المبحث الأول	٥٣١٤
٦.	المبحث الثاني	٥٣٢٩
٧.	خاتمة	٥٣٥٦
٨.	ثبت المصادر والمراجع	٥٣٥٨
٩.	فهرس الموضوعات	٥٣٦٠

تم بحمد الله